

نحو مذهب إسلامي في الأدب والفن

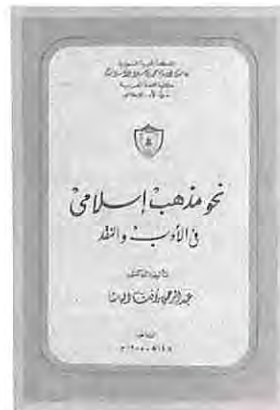
للدكتور عبدالرحمن الباشا
عرض: د. خليل أبو ذياب

■ هذا الكتاب إحدى الثمرات الفكرية الرائدة التي تفتتت عنها عبقرية الأستاذ الكبير الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - رحمة واسعة - مجسدة لجهوده الخيرة في مضمار الدراسات الإسلامية والأدبية؛ وقد جاء هذا الكتاب محاولة جادة لتقرير ما هية الأدب الإسلامي وتحديد خصائصه وتوصيف مظاهره الإبداعية والفكرية، وقد وقع الكتاب في زهاء خمسين ومائتي صفحة تناول فيها طائفة من القضايا والموضوعات التي دأب الباحثون والمنظرون للأدب الإسلامي على مناقشتها وبحثها في دراساتهم. وكانت القضية الأولى العتيدة «موقف الإسلام من الأدب عامة والشعر خاصة» أولى قضاياها وفصوله، مستعرضا فيها أغلب الإشارات والنقول الدينية التي ارتبطت بها تأييدا ومدحا أو رفضا وقدحا، منتهيا إلى «أن الإسلام لا يحارب الشعر لذاته وإنما يحارب الفاسد من مناهج الشعراء» ذلك لأن الشعر باب من أبواب الكلام وضرب من ضروبه، فصالحه كصالح غيره من الكلام، وفاسده كفاسده وهو مرفوض. وما يقال عن الشعر يقال عن فنون الأدب الأخرى كالخطابة والقصة والأقصوصة وغيرها.

وفي القسم الثاني درس أهم المذاهب الأدبية الغربية وهي «الكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية والطبيعية والفنية (الفن للفن) والرمزية والوجودية» حريصا على تسجيل موقف الإسلام منها، وقد عني بتحليل تلك المذاهب ورصد أبعادها الفكرية والفنية والدوافع التي كانت وراءها؛ وهو معني بعمق بعرض تلك المذاهب على المنهج

الإسلامي؛ ليحدد مدى مشروعيتها ومصادقيتها.. ولتطبق عليها مقاييس الأدب الإسلامي المحددة وما يدعو إليه من التزام فني وخلق، حتى إذا فرغ منها مقررا فسادها ومصادمتها للمنهج الإسلامي عمد إلى توصيف المذهب المناسب الذي ينبغي أن يلتزم، ما دامت تلك المذاهب غير صالحة، مؤكدا حاجتنا إلى مذهب أدبي خاص متميز يفي بحاجتنا الإبداعية والفكرية على السواء، وذلك هو المذهب الإسلامي في الأدب، أو «الأدب الإسلامي» القادر على التعبير عن قضايا الأمة الإسلامية وآلامها وهمومها وطموحاتها. ويستعرض الباحث طائفة من العلماء والباحثين الذين دعوا إلى هذا المذهب من أمثال أبي الحسن الندوي، وسيد قطب، ومحمد قطب، وعماد الدين خليل وغيرهم حتى تجاوزت جامعة الإمام هذه الطموحات والطروحات عندما أدخلته في مناهجها تحت «منهج الأدب الإسلامي»، وما أفرز من بحوث الماجستير والدكتوراه. ثم قدم الباحث تعريفا للأدب الإسلامي، محددا معالمه الأساسية تحديدا لا يكاد يخرج عن تعريفاته العديدة عند الدارسين وهو «التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيرا ينبع عن التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته».

كما نراه يفرد قسما من كتابه لتحليل ظاهرة التصور الإسلامي وأبعاده الفكرية للخالق سبحانه وللكون والإنسان، ليعرضها على إبداعات الأدباء لتحديد ما هو إسلامي منها وما هو غير إسلامي، من خلال الشواهد الكثيرة التي سردوها. وهو مرة أخرى يحاول أن ينبّه على تجاوزات الآداب الغربية القديمة والحديثة في تلك القضايا والجوانب. كما أفرد قسما من كتابه لدراسة



الخصائص العامة للأدب الإسلامي في إطار الموازنة من جديد بينه وبين الآداب الأخرى، وجاءت أبرز تلك الخصائص متمثلة في «الغائية الهادفة» و«الالتزام» و«الأصالة» و«التكامل» و«الاستقلالية» و«الفاعلية المؤثرة»، ونراه يولي بعض تلك الخصائص طرفا من عنايته ليعالجها بصفة خاصة كقضية «الالتزام»، خصوصا أن هذه القضية ارتبطت بمذهبين اجتماعيين كبيرين هما الماركسية الشيوعية والوجودية مركزا على موقف الإسلام والأدب الإسلامي من قضية الالتزام مؤكدا أن الأدب الإسلامي مارس الالتزام منذ نشأته الأولى في ظل الدعوة الإسلامية من خلال ممارسات الشعراء الإبداعية.

وتثير قضية الالتزام إشكالية التوافق أو الاشتراك فيها بين الأدب الإسلامي والآداب الشيوعية والوجودية تدفع الباحث لتحديد الفروق الجوهرية للالتزام بين الأدب الإسلامي وذاك الأدبين، ومنها «الفرق بين الإلزام والالتزام» و«مصدر السلطة الإلزامية أو الالتزامية» و«الفكر الذي يقوم عليه ذلك الالتزام» و«موقف الأديب من التعبير عن الذات والجماعة»، كما عالج قضية «الحرية» في الأدب ومدى التعبير عنها. كذلك عالج بعض القضايا الدينية الاعتقادية في ضوء المنهج الإسلامي للأدب، ومنها قضية «القضاء والقدر» و«الشر والردية» و«العلاقة بين الجنسين».

ونراه يفرد فصلا لدراسة القصة وحاجة الأدب الإسلامي إليها للتعبير عن قضاياها الفكرية والاجتماعية خاصة أن إرهابات هذا الفن شاعت في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف في محاولة لمواكبة الأدب الإسلامي للتطور الذي أصاب الأدب العالمي، وقد حرص على تحديد أهداف القصة الإسلامية؛ وللغاية ذاتها أفرد قسما آخر للمسرحية كنوع أدبي متميز في هذا العصر في محاولة لتوظيفها لحمل المفاهيم الإسلامية محاولا تحديد الفروق بينها وبين المسرحية الغربية مبرزاً عناصرها الإسلامية التي يجب توافرها فيها خاتما كتابه بنموذج/ خلاصة موجزة لمسرحية إسلامية تدور حول قصة يوسف عليه السلام دون أن يشفعها بدراسة تحليلية تكشف عن أبعادها الفنية ومظاهرها الإبداعية وغاياتها الفكرية.



جرح مسافر فوق الريح



أخاطب قلبي والرياح لواقع
تُغيّر وقلبي بينهما سفين
تطوف به الآهات وهي نوافذ
فيحبسها في الصدر وهو رهين
تزلزله.. يهوى ويصعد حاملا
جراحا لها بين الضلوع أنين
ويجتازها كالسهم حول حبيبة
لها قلب أم صادق وحنون
وأهبط بين المسجدين وهاجسي
يحدث نفسي والحديث شجون
وأمشي إلى ساحاتها وهي ترتدي
ظلالا لسرو ماله غصون
وفي السباح أبار كأن برودها
سلالة نبع مأوّهن معين
حمائم تُرحال وحل ورائج وغاد
وفسرخ ناهض وسننون
وأغدو إلى بئر تلاقى رشاؤها
بدلو لها عطف علي ولين
أقبلها والماء ينساب مثلما
تحدّر من صوب السحاب هتون
أذي صحوّة يا قلب أم هذه رؤى
تمادى خيال حولها وظنون
حبيبة قلبي هل هناك هنيهة
فقد طال شوق بيننا وحنين
تقوم على باب العرين ثعالب
لها جلد ليث والعرين حزين
ونحن جياع الأرض نطوي بطوننا
على كذب تأبى عليه بطون
طويت على باب الخليل عباءتي
فطار بها شلو هناك هجين
فاغمضت عيني كي أرى غير ما أرى
لعل من الماضي يُطل جبين

تحب عيوني أن تراك عيون
وأني لماء الكأس فيك مدين
شربت ورواني وقد كنت يافعا
وعدت إليه والشباب فتون
توضات ماء الكأس.. فاشتد ساعدي
وجاذبني حبل إليه.. متين
إلى أن رماني الغادرون وأصبحت
على قدمي مما رموه طعون
وإني وإن ضاقت علي أساوري
وضجت شمال منهما.. ويمين
أحاول في كل الشباك وأنثني
وأنت على كل الشباك عيون
تعاتبني أني نظرت لغيرها..
وأني على حبي لها.. لظنين
وفي الكعبة البيت الحرام أحبتي
وفيها على صرح الأمان أمين
من القبلة الأولى أتيتك حاسرا
أيا كعبة الإسلام كيف أبين
تحاصرنّا الأيام والدار دارنا
وتسخر منا أشهر وسنون
ولكنها القدس التي طال حزننا
وصاحت سهول حولها وحزون
أيا قدس لا تبكي فما زال عزنا
عقيدتنا.. والصعب فيك يهون
أسافر فوق الريح فيك وأهتدي
وحاديّتي دنيا إليك.. ودين
فدنياي عمر منك فيك وهبته
وديني على الحق المبين مبين
ودنياي هذا الليل والفجر والضحي
وديني جهاد لا هوى ومجون

■ ■ ■

شعر: حاود معلل

ولكن سمعي هزة سيف ظالم
له في عظام المسلمين رنين
فهل سكنت للمسلمين جوارح
وهل عميت للمسلمين عيون
وما جزعني أني فقدت ملاعبي
وأن حصاني بينهن سجين
ولكنه غاب الجهاد كأننا
ربائب خدر مالهن معين
أنادي صلاح الدين والمنبر الذي
بناه فيغشي جانبيه سكون
لك الله يا أقصى فقد كنت باقية
من العز كم مرت عليك سنون
أيا قدس يا أم الجهاد وروحه
فداؤك هذا الروح وهو ثمين
ولكنه في باب ظلك قطرة
من الدم.. تروي النصر كيف يكون
دعيني أري عينيك شمسي هداية
ولا تجزعي إن ساورتك ظنون

ففي يومك الآتي شمس وأعين
وريات عز نصرهن يقين
وساعتها أي الفريقين شاهد
وأي بقاع الحفرتين دفين
تجمعهم أقدارهم في دجنة
تضيق بها أرواحهم وتهون
فوالله إنا قادمون إليهم
كمثل شعاع الشمس حين تبين
فتعشى به أبصارهم وقلوبهم
وتشقى به أجالهم.. وتحين

